فكيف رأى الفلسطينيون السياسة الاوروبية في كل مراحلها ؟ وما هو تكييفهم للدور الاوروبي في اطار الجماعة الاوروبية وتعاونها السياسي ؟ ثم ما هي السياسات التي اتبعوها تجاه دول غرب أوروبا، انطلاقاً من محصلة الخبرة المتراكمة لديهم ؟

أولاً: الصورة الاوروبية الغربية عند الفلسطينيين

كانت قضية فلسطين والصراع العربي ـ الصهيوني من أهم عوامل الشقاق بين العرب والاوروبيين منذ مطلع القرن العشرين[١]. فمن المنطقي، والحال كذلك، أن يكون المشروع الصهيوني، وما ترتب عليه، أهم عناصر الشقاق بين الفلسطينيين (كأول الاطراف العربية وأكثرها تضرراً) والاوروبيين الذين تبنّوا المشروع منذ كان فكرة حتى أضحى كياناً عدوانياً[٢].

يمكن الوقوف على النظرة الفلسطينية الى الاوروبيين ضمن اطارين: الاول اطار عام، وجوهره أن الفلسطينيين يمثلون جزءاً أصيلاً من العرب؛ وبذلك، فان المتغيرات التي شكلت الصورة الاوروبية عند العرب أثرت، بدورها، في صورة الاوروبيين عند الفلسطينيين. والثاني اطار خاص، ومنطلقه ان الفلسطينيين لهم سماتهم الخاصة وقيمهم النابعة من تجربتهم، وذلك على الرغم من كونهم جزءاً من العرب، ومن ثم، فان لهم ردود فعلهم الخاصة بهم ورؤاهم الذاتية الى الاوروبيين[٣].

ان تحليلاً يجمع بين هذين الاطارين لا يكون، في نظرنا، قد جانب الصواب. فعلاقة التأثير والتأثر هو أمر وارد تماماً في هذه الحالة. ولذلك، فان مصادر الصورة الاوروبية عند الفلسطينيين نجدها، غالباً، في ثنايا الكتب والمؤلفات الفلسطينية بأنواعها، وكذلك في مختلف وسائل الاعلام الفلسطينية التي صوّرت رؤية الفلسطينيين لنكبتهم، وصلة الاوروبيين بهذه النكبة. وهذه المصادر غالباً ما تأثرت بالموروث الادبي والتاريخي للتجربة العربية العامة وعلاقة أوروبا بهذه التجربة.

اذا التفتنا الى السياق التاريخي الذي تكوّنت خلاله الصورة الاوروبية عند الفلسطينيين سوف نلاحظ ان الصورة الاوروبية تكونت في سياق علاقات عدائية. وهذا السياق العدائي سوف ينعكس على مضمون الصورة. ولأن السياسة البريطانية كانت هي الممثل الاوروبي الاول والاقرب الى الفلسطينيين، فانها سوف تتلقى جرعة زائدة من الاهتمام الفلسطيني كما ستشغل حيّزاً أوسع من عناصر الصورة.

هذه الملاحظات تؤكد أن «صورة الآخر»، بصورة عامة، لا تتمّ بمعزل عن الحقائق الموضوعية والتاريخية التي تتكون في سياقها. كما تؤكد، من جانب آخر، ان الصورة ليست شيئاً قدرياً محتوماً لا يتغير، بل انها عرضة للتغير، نزولاً عند واقع بروز حقائق جديدة في العلائق الانسانية بين الامم والشعوب.

بعد أخذ هذه التعميمات في الاعتبار، يمكن اجمال عناصر الصورة الاوروبية عند الفلسطينيين ـ وكما تمّ استقاؤها من مصادر فلسطينية صرفة ـ في ما يلي:

الظلم

الظلم هو أبرز سمات الصورة الاوروبية لدى الفلسطينيين. فهم يعلّقون ما حاق بهم وببلادهم على الدور الاوروبي، قبل انشاء الكيان الصهيوني، وبعد انشائه. يدرك الفلسطينيون أن الحركة الصهيونية بدأت عملية غزو فلسطين واستيطانها قبل أن تصدر القوى الاوروبية صكوك البراء